كلمـــــة

صاحب السمو الملكي الامير الحسن بن طلال

نائب جلالة الملك ولي العهد المعظم

فـــي

افتتاح المجلس العربي للطفولة والتنمية

عمان ١٢/٤/١٩٨٧

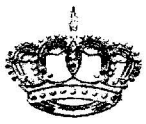

صاحبة الجلالة الملكة نور المعظمـــة ،

السيدة الفاضلة حرم سيادة الرئيس محمد حسني مبارك ،

أخي صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز ،

أصحاب وصاحبات السمو والمعالـــــي ،

أخواتي واخوانـــي الكـــــــــرام ،

أرحب بكم في بلدكم الأردن العربي الصامد ، والذي يفتح لكم جميعا قلبه وذراعيه ليحتفي بكم وبالمناسبة التي جمعت هذه النخبة الكريمة من أبناء الأمّة .

اننا نجتمع اليوم من اجل قضية الأغلبية الصامتة في بلادنا ... من أجل أطفالنا وأكبادنا ... أي من أجل مستقبل أمتنا .

ولا أعرف أفضل من قضية الطفولة ، قضية أخرى يمكن أن ينعقد عليها اجماعنا ، وترق لها قلوبنا ، وتحيطها ينابيع حناننا ... اننا نتحدث عن خمس وثمانين مليون طفل عربي من المحيط الى الخليج ... هم زاد أمتنا لاقتحام القرن الحادي والعشرين ، وهم أملها للحفاظ

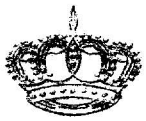

على هويتها والدفاع عن كيانها في عالم لن يرحم الضعفاء، ولن يلتفت الى الجهلاء ... عالم لن يحترم الا العلماء والعقلاء والاقوياء ... هو عالم اما أن " نكون " فيه أو " لا نكون " . فهل أعددنا العدة ، وشحذنا الخيال ، وعبأنا الموارد ... لتنمية هذا الزاد الغالي من أجل ذلك الأمل النبيل المشروع ، وهو " أن نكون " ؟ .

أيها الجمع الكريم ،

منذ سبع سنوات اجتمع هنا في عمان ، وفي هذه القاعة ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمر القمة الحادي عشر ... وكان الموضوع الرئيسي على جدول أعمالهم هو استراتيجية عربية قومية للتنمية لتنقلنا من عالم المتخلفين الضعفاء الى عالم المتقدمين الأقوياء ... وكان القصد والأمل أن يكون عقد الثمانينات ، هو العقد الذي تحدث فيه هذه النقلة الكيفية الى الأمام ... ولم يقتصر خبراؤنا العرب في اعداد التصورات العلمية الرصينة والبدائل العملية العقلانية لاستراتيجية عقد التنمية ... ولم تكن الموارد المالية والبشرية العربية المتاحة قاصرة عن انجاز هذه الاستراتيجية ... لذلك تعلقت آمال الأمة ، وبحق ، في مقررات القمة الحادية عشرة للملوك والرؤساء العرب.

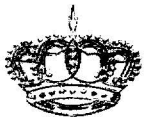

(٣)

ولكن ما نحن هنا بعد مرور اكثر من ثلثي عقد الثمانينات دون أن تتحقق العهود أو تنفّذ الوعود التي أخذتها الحكومات العربية على نفسها ...

وحينما أتأمل بشجن وألم ، محاولا الاجابة على السؤال الكبير : لماذا لم تتحقق عهود أو تنفذ وعود عقد التنمية ... بل لماذا لم تتحقق عهود ولم تنفذ وعود أخرى كثيرة قطعتها الحكومات من قبل على نفسها ...؟ أجدني المرة تلو المرة أتوقف عند دور المجتمع المدني ودور الدولة في بلادنا .

فمع افتراض حسن النية واخلاص الحكومات في تنفيذ ما تعد به شعوبها ، الا انني الاحظ أن قدرات الدولة مهما عظمت لا تستطيع أن تحقق كل ما هو مطلوب أو مرغوب ... فما بالنا وقد تناقصت هذه القدرات في السنوات الأخيرة في بلادنا ... بل ان الدولة في اقطار اغنى منا كثيرا ، وأعظم قدرة على تعبئة الموارد وتنظيمها ، اكتشفت أن الدولة لا تستطيع وحدها أن تفعل كل شيء . لذلك أصبح الاتجاه في

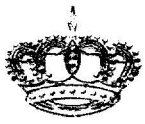

(٤)

معظم البلدان المتقدمة على الخصوص أن تتشارك في الكثير من المهام مع المؤسسات الأهلية ، وثبت أن هذه الأخيرة أهل للمسئولية ، بل وأكثر كفاءة واقتصادا ، وأسرع استجابة لمطالب الناس . فهي تعمل عادة من خلال مواطنين ذوي حوافز عالية . وهي مؤسسات تخلو من كثير من التعقيد الاداري والبطء البيروقراطي . ثم ان هذه المؤسسات هي في النهاية مدرسة لتدريب المواطن على المشاركة في المجتمع والتعبير المسؤول ، وممارسة فنون التنظيم واذكاء خياله، على أن يساعد المواطن نفسه بنفسه وبهمة وعزم اخوته .

فاذا كان هذا يحدث في بلدان سبقتنا على درب التقدم ، فما احوجنا نحن بان نقتدي بروحها ونسير على نبراسها ، أوليس ذلك في النهاية هو المعنى الحقيقي للمقولة التي شاعت في السنوات الأخيرة حول مسيرة النماء والانتماء ؟ ان الاعتماد على النفس لا بد أن يكون على كل المستويات ... فاذا كان مفكرونا المخلصون يحذرون منذ مدة طويلة من مغبة "التبعية" على الخارج ، ويحضون على "التنمية المستقلة" ، فانني اخالهم لا يقصدون بذلك الحكومات

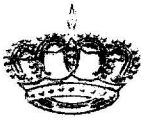

وحدها . اني أخالهم يقصدون المجتمع بكل تكويناته الاجتماعية ، وبكل مؤسساته الحكومية وغير الحكومية.

ربما أسرفت الدولة في وطننا العربي بوعودها، وربما بالغت في الاعتقاد بقدراتها على حل مشكلات المجتمع وفي تلبية كل مطالب المواطنين كلها ... ولكنني أرى الدولة مثقلة بأعباء عديدة ومهمومة بمجابهة تحديات كثيرة ، وأراها بالتالي غير قادرة حتى لو كانت راغبة ، على حمل الأعباء ومجابهة الهموم والتحديات وحدها . ومن هنا تبدو أهمية استنفار كل قطاعات وتكوينات المجتمع المدني لكي تساعد نفسها أولا ، ولكي تساعد الدولة ثانيا .

وربما كانت هذه الحقيقة - أيها الجمع الكريم - ، ماثلة أمام الرئيس الامريكي الراحل جون كيندي ، حينما ردد قوله المأثور في أول كلمة وجهها لأبناء وطنه كرئيس منتخب " لا تسألوا ماذا تستطيع بلدكم أن تفعل لكم ، ولكن اسألوا ماذا تستطيعون أن تفعلوا لبلدكم ". فاذا كان هذا حال أغنى الدول

وأقواها... أفلا نكون نحن ، ولسنا الأقوى ولا الأغنى، الأحوج الى استنفار مجتمعنا المدني وأعمال خياله وشحذ همته لكي يفعل شيئا من أجل نفسه ... من أجل أطفاله ... من أجل مستقبله ؟ .

أيها الجمع الكريم ،

حينما أتأمل ما نحن بصدده هنا تتملكني مشاعر الالحاح والهواجس والأمل .

مشاعر الالحاح مبعثها ان حوالي نصف الأطفال العرب مهددون في صحتهم الجسمانية ، بأخطار المجاعة والفقر والحروب . انني أتحدث عن أربعين مليون طفل من المحيط الى الخليج . وبعضهم ، كما تعلمون ، يمثل التهديد بالنسبة لهم خطرا يوميا ماثلا ... انهم اطفالنا في لبنان ، وفي المخيمات الفلسطينية ، وفي العراق، وفي السودان . لقد سجل كتابا المجاعة ،وأطفال الشوارع اللذين أصدرتهما اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الانسانية الدولية ، وهي اللجنة التي يشاركني في عضويتها أخي سمو الأمير طلال ، وكتاب الأطفال والحرب في لبنان ، الذي أصدرته مؤخرا الجمعية الكويتية لتقدم

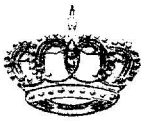

الطفولة العربية ، التي يرأسها الأخ حسن ابراهيم، جوانب من هذه المخاطر المفجعة التي تهدد أطفالنا . ان اطفالنا يدفعون ثمنا فادحا لقرارات وأخطاء الكبار . أو لمخططات القوى الأجنبية ، أو لغضب الطبيعة . والمطلوب منا أن نعبىء الجهود ونستحث بواعث النبل في كل الخيرين والعقلاء لدرء هذه الأخطار الداهمة ، أو على أقل تقدير لتقليمها واحتوائها .

أما الهواجس فمبعثها أن حوالي نصف الأطفال العرب الآخرين مهددون في صحتهم العقلية والوجدانية ، ومن ثم في عمق هويتهم العربية وانتمائهم القومي . انني أتحدث هنا عن أطفالنا الذين ينشأون على أيدي الخادمات الأجنبيات الذين زادوا زيادة هائلة في العقد الأخير . وأتحدث عن أطفالنا الذين تلتهم البرامج التلفزيونية الأجنبية عقولهم وقلوبهم ، ليست فقط من خلال ما تبثه محطات التلفزة الوطنية ، والتي يمكن التحكم فيها أحيانا ، ولكن أيضا من خلال البث المباشر من محطات خارجية في جنوب أوروبا وتلتقطها اجهزة التلفزة في أقطار المغرب العربي الكبير ، ولا نستطيع التحكم فيها. وكما يقول لنا علماء الاجتماع ، لقد أصبح

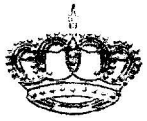

التلفزيون هو المحور الاجتماعي الأساسي للأطفال في الربع الأخير من القرن العشرين . ولنا أن نتصور ، التأثير السلبي الهائل لهذه الثورة الاتصالية العالمية على أطفالنا - على وجدانهم وعقولهم ، على عاداتهم الاستهلاكية ، وعلى رموزهم البطولية والاسطورية . ان هذا النوع من التهديدات ، هو نوع لـّين وهادىء ، ولكنه لا يقل خطرا وتدميرا ، من تهديدات الجوع والفقر والحرب . ولا بد أن نتنبه له جميعا من الآن ، وقبل فوات الأوان . لا نريد أن نفاجأ بعد عشر سنوات أو عشرين سنة بجيل لا يفهم آباءه ، ولا تراث أجداده ولا لغة قومه ... باختصار لا نريد جيلا ضعيف الانشغال بهموم هذا الوطن ، ضعيف الانتماء لهذه الأمة، يتبنى اطارا مرجعيا غربيا ، ويأخذ اشاراته ورموزه من هذا الاطار .

أما الأمل ، فهو أن نعمل معا من أجل أطفالنا ودرء الأخطار التي تهددهم ، وارساء دعائم راسخة لمستقبلهم في عالم القرن الحادي والعشرين . وأن يكون مجلسنا هذا نموذجا لكل ما نريده للأجيال الصاعدة في توجهاته وأهدافه ، في قواعد عمله وأدائه . نريده

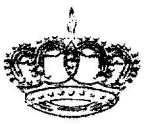

نموذجا للعقلانية وللحوار الديمقراطي . نريده منشطا ومستنفرا لكل موارد الأمة الروحية والمادية . نريده صلة عقد ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، نريده فرصة تاريخية لبلورة اجماع عربي جديد ولعمل عربي جديد ، وأملنا راسخ في امكانية تحقيق ذلك كله . فقد حاولنا ذلك في منظمات عربية أهلية ودولية مشابهة . حاولنا في منتدى الفكر العربي ، وفي المنتدى الانساني ، وفي اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الانسانية الدولية وفي مجمع البحوث الاسلامية (مؤسسة آل البيت) . وحاول اخوة لنا في مركز دراسات الوحدة العربية ، وفي المنظمة العربية لحقوق الانسان ، وفي منتدى العالم الثالث ، وفي برنامج الخليج لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية ، وفي الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ... وفي غيرها. ويزيدني أملا أن الله يقيّض لهذه الامة دائما نفرا من أبنائها ينهضون في أحلك اللحظات وينيرون الطريق ويعيدون زرع الأمل . وكأن ارادة الحياة في هذه الامة عوضتنا ولو جزئيا عن التعثر الحالي في الاجهزة الرسمية للعمل العربي المشترك بهذا النبض الجديد لمنظمات العمل العربي الأهلي المشترك ، والذي يمثل مجلسكم هذا أحدث مظاهره .

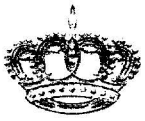

أيهـا الاخـوة والاخـوات ،

لا يفوتني قبل ان انتهي من هذه الـخـواطر، أن أشكر أخي صاحب السمو الملكي الأميـر طلال بـن عـبـد العزيز على استمرار مبادراته الانسانية الفـذة ، والـتـي يمثل مجلسكم هذا أحد ثمراتها . وأن أشكركم جميعا مرة ثانية على تجشمكم أعباء الترحال . وعزاؤكم وعزائي أننا جميعا بهذا العمل المبارك سنكون قادرين على أن ننظر في عيون أطفالنا ونقول لهم لقد حاولنا ... وحاولـنـا بحب ... وحاولنا بصدق .

أدعو الله أن يوفقكم ويسدد علـى طريـق الـخـيـر خطاكم ." وقل اعملوا فسيرى الـلـه عـمـلـكـم ورسـولـه والمؤمنـــون " .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــــه ،،